٣٣- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى {أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ القَوْمُ الخَاسِرُوْنَ} (الأعْرَاف:٩٩).

وَقَوْلِهِ {وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّوْنَ} (الحِجْر:٥٦).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنِ الكَبَائِرِ؟ (اَلشِّرْكُ بِاللهِ، وَاليَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ، وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ). (١)

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُوْدٍ؛ قَالَ: (أَكْبَرُ الكَبَائِرِ: الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ، وَالقُنُوْطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَاليَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ). رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاق. (٢)

فِيْهِ مَسَائِلُ:

الأُوْلَى: تَفْسِيْرُ آيَةِ الأَعْرَافِ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيْرُ آيَةِ الحِجْرِ.

الثَّالِثَةُ: شِدَّةُ الوَعِيْدِ فِيْمَنْ أَمِنَ مَكْرَ اللهِ.

الرَّابِعَةُ: شِدَّةُ الوَعِيْدِ فِي القُنُوْطِ.

الشرح :

سبق أن تكلم المؤلف رحمه الله على بابين كبيرين ـ باب في المحبة وباب في الخوف عبادة المحبة وعبادة الخوف من الله جل وعلا ـ وأن العبد الموفق هو الذي يجمع العبادات الثلاث : عبادة الخوف وعبادة الرجاء وعبادة المحبة ، حتى قال العلماء : **من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق** ، فالذي يقول المحبة في قلبي والعبادات ليست بشرط ، المحبة في قلبي ولا أتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالقلب عامر بالمحبة ويشير إلى قلبه ، وهذه كلمة منتشرة بين عدد كبير من العوام ، لذلك قال السلف : **من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق** ، وهي محبة زائفة .

قال الشاعر :

لو كان حبك صادقا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

ومن عبد الله بالخوف وحده فهو حروري ، فمن غلب عليه الخوف سيقنط من رحمة الله وييأس من رحمة الله فهو شبيه بالخوارج الحرورية الذين

---

١) أَوْرَدَهُ الهَيْثَمِيُّ فِي (كَشْفُ الأَسْتَارِ عَنْ زَوَائِدِ البَزَّارِ) برقم (١٠٦) ؛ والطبراني في مجمع الزوائد(١/١٠٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره برقم (٥٢٠١) ؛ وحسن اسناده الألباني في الصحيحة برقم (٢٠٥١) .

٢) رواه معمر في الجامع برقم (١٩٧٠١) ؛ وعبدالرزاق في تفسيره (١٥٥/ ١) ، وابن أبي الدنيا في (التوبة) برقم (٣١) ؛ والطبراني في الكبير برقم (٨٧٨٣ ـــ ٨٧٨٥) ؛ والطبري في التفسير (٢٤٢/ ٨)؛ والبيهقي في الشعب برقم (١٠١٩) ؛ صَحَّحَهُ ابْنُ كَثِيْرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي التَّفْسِيْرِ (٢٧٨/ ٢).

يأخذون بنصوص الوعيد ويتركون نصوص الوعد والرجاء ، **ومن عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ**، فمن أخذ بنصوص الوعد وقال كما يقول المرجئة : لا يضر مع الإيمان ذنب أو معصية ، ففعل وتعدى حدود الله سبحانه وتعالى بزعم أن إيمانه كامل كإيمان جبريل وميكائيل وكإيمان أبي بكر وعمر، فهذا مرجئ ، والمؤمن الحق هو الذي يجمع في عبادة ربه بين هذه الثلاثة ، فيعبد ربه بالحب مع الخوف والرجاء قال تعالى :**(يرجون رحمته ويخافون عذابه)** وقال :**(يدعوننا رغبا ورهبا)** .

فالمؤلف عقد بابين سابقين وهذا هو الباب الثالث المكمل لهذين البابين السابقين المحبة والخوف وهذا الباب في الجمع بين الخوف والرجاء وأن المؤمن يجب عليه أن يجمع بين هاتين العبادتين ، وهذه من العبادات الواجبة على العبد .

وأهل العلم اختلفوا هل يجمع بينهم بالتساوي كجناحي الطائر، أم يغلّب أحدهما على الآخر؟ وأيهما يغلب؟ هل يغلب الخوف أم يغلب الرجاء؟

فعدد كبير من أهل العلم قالوا : يكون بين هاتين العبادتين كجناحي الطائر، فيساوي بينهما ، يكون بين الخوف والرجاء باعتدال ، ولا يغلب جانبا على جانب ؛ وبعضهم يقول : يختلف هذا باختلاف حال العبد ؛ فإذا كان الشخص مسرفا على نفسه بالمعاصي في حال حياته يغلب جانب الخوف الزاجر له عن المعصية ؛ وإذا كان العبد في حالة من حالات الوهن والضعف والمرض وقد قل عمله وقل نشاطه وقلت عبادته فيغلب جانب الرجاء ، لأن فيه حسن ظن بالله سبحانه وتعالى وأنه سيجبر كسره ويقوي ضعفه أو يقويه في ضعفه .

هذا تفصيل لبعض أهل العلم وهو يختلف باختلاف الأشخاص ؛ وإلا فعلى العبد ضرورة ووجوبا أن يجمع بين هاتين العبادتين : الخوف والرجاء ، وإذا خاف فلا يصل به الخوف إلى مرحلة اليأس والقنوط ، وكذلك إذا رجا لا يأمن ، يعني إذا خاف واستحضر الخوف من الله جل وعلا لا يوصله هذا الخوف إلى اليأس والقنوط من رحمة الله سبحانه وتعالى ، وإذا رجا ما عند الله جل وعلا وحسن ظنه بربه فإنه لا يأمن من مكر الله سبحانه وتعالى .

وصديق هذه الأمة أبو بكر رضي الله عنه كان يقول : لو أن قدميَّ أحدهما في الجنة والأخرى خارجها ما أمنت مكر الله سبحانه وتعالى ؛ فهذا الصديق لا يأمن على نفسه بل إن الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يخاف على نفسه النفاق وكان يقول لحذيفة : هل سماني لك رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين ، هذا الفاروق لا يأمن مع أنه مبشر بالجنة ، وكذلك ذكر

البخاري عن ابن أبي مليكة أنه قال : أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم من أحد يقول إيماني كإيمان جبريل وميكائيل . وفي رواية أزيد من خمسمائة ؛ أدركهم ابن أبي مليكة كلهم يخاف النفاق على نفسه ، يعملون ويجتهدون في العمل لكن يخافون ألا يقبل منهم ؛ وقال الحسن البصري : لا يخافه إلا مؤمن ولا يأمنه إلا منافق . والضمير هنا قد يعود على الرب جل وعلا أو على النفاق . يعني لا يخاف النفاق على نفسه إلا مؤمن، ولا يأمن على نفسه إلا منافق ، فمن ذا الذي يأمن على نفسه ؟ والإمام أحمد في آخر لحظات عمره في الاحتضار يقول له ابنه : يا أبت قل لا إله إلا الله ؛ فيقول بعدُ بعدُ ، فيعجب الابن ، إمام أهل السنة والجماعة يقال له : قل لا إله إلا الله ؛ فيقول : بعدُ بعدُ ، فيسأله بعد الإفاقة : يا أبت كنت أقول لك كذا وكذا فتقول بعدُ بعدُ ، فيقول كان الشيطان يأتيني فيقول له : فتني يا أحمد ، فيقول له الإمام : بعدُ بعدُ ، يعني مادامت الروح في الجسد فالفتنة باقية والإضلال باق ، فالشيطان يريد أن يحظى منه بأي شيء ولو في آخر أيام حياته ، وقال إبراهيم التيمي : ما عرضت عملي على قولي إلا خشيت أن أكون مكذبا ، وفي رواية كاذبا ، يعني يتكلم ويعظ وينصح وينظر لعمله فيجد عمله فيه تقصير ، مع إنه فيه من الصلاح والعبادة والعلم الشيءُ المذكور في ترجمته ومع ذلك يقول : أخشى أن أكون كذابا ، فإذا كان هذا حال الأئمة العاملين العلماء المجتهدين بل أولياء الله جل وعلا المبشرون بالجنة فكيف يكون حالنا ؟! وكيف يكون حال أهل هذه العصور المتأخرة ؟ لذلك عقد المؤلف رحمه الله تعالى هذا الباب ليبين لك أن العبد الموفق الذي يرجو ما عند الله جل وعلا لا بد أن يعتني بهاتين العبادتين : الخوف من الله جل وعلا والرجاء فيما عنده جل وعلا ، فيسير بينهما.

قوله : باب قول الله تعالى (أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون) هذه الآيات من سورة الأعراف ؛ يقول الرب جل وعلا في الآية التي قبلها **(أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون. أوأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون. أفأمنوا مكر الله)** أهل القرى الذين أُرسل إليهم الرسل ولم يستجيبوا، وغرهم ما عندهم من الدنيا ومن العتو ومن المال . **(أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون)** أي مستقرون في حياتهم ، وفي عيشة طيبة هنيئة فيأتيهم فجأة عذاب الله جل وعلا وانتقامه سبحانه وتعالى وهم نائمون في سبات عميق، أو يأتيهم عذاب الله جل وعلا في الضحى وهم يلعبون؛ والأصل في وقت الضحى أن تسعى فيه الناس إلى

معاشها في أول النهار، لكن هؤلاء لما هم فيه من الغنى والبطر يلعبون في وقت الضحى ، فقال الله جل وعلا أفأمن هؤلاء الذين يعبثون ويلهون في الضحى أن يأتيهم بأسنا ؟

والسبب في ذلك **(أفأمنوا مكر الله)** فغلب عليهم الرجاء وظنوا أن الله جل وعلا إذا أمدهم بالنعم مع ما هم فيه من المعاصي فقد رضي عنهم ، فالله جل وعلا قد يعطي العبد على معاصيه ، فتجد عبدا عاصيا لكن الله يعطيه ، وهذا استدراج كما جاء في الحديث الذي رواه أحمد في المسند **«إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ»** (١) يسأل ربه ويعطيه وهو مقيم على معصية ، فهذا هو استدراج ، وبهذا المعنى وقريب منه فسر أهل العلم معنى المكر، فالمكر معناه قريب من معنى الكيد **(يمكرون ويمكر الله) (ومكروا مكرا ومكرنا مكرا)**، وصفة المكر صفة فعلية تابعة للمشيئة ؛ فإذا شاء فعلها ، وهذه الصفة مقيدة ، فلا تطلق على الله جل وعلا بإطلاق وإنما تقيد ، فيقال : يمكر بمن يمكر بأوليائه أو بدينه ، يمكر بأعدائه ، ولا يُسمى الله جل وعلا ماكرا ؛ فهذه الصفة تكون صفة مدح وكمال إذا كانت في موضعها الصحيح ، هو أن يمكر لأوليائه ويمكر بأعدائه .

وأهل العلم لهم عبارات متنوعة في تفسير المكر ؛ فالشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى يقول : المكر هو التوصل إلى الإيقاع بالخصم من حيث لا يشعر ؛ فيعطيه ويستدرجه ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر .

وبعضهم فسره بقوله : المكر هو استدراج العبد بالنعم ؛ إذا عصى ؛ وإملاؤه له ، فيعطيه ويستدرجه حتى يأخذه أخذ عزيز مقتدر .

والشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى سئل عن المكر كما جاء في الرسائل الموجودة في كتاب الدرر السنية لعلماء نجد ـ وهذا الكتاب فيه من الفوائد العظيمة والمباحث القيمة وملخصات لكلام أهل العلم ما يحتاج إليه كل طالب علم خاصة في علم العقيدة ـ فقال فيه رحمه الله : **مكر الله هو أنه إذا عصاه وأغضبه أنعم عليه بأشياء يظن أنها من رضاه عليه** ـ عصاه وأعطاه الصحة والعافية والمال يظن أن هذا من رضاه عليه ـ **وأما الفرق بين الروح والرحمة فلا أعرفه.** وهذا من أدب الشيخ وتعليمه للطالب ، فيقول أنا لا أعرف الفرق بين الروح والرحمة المذكورة في الحديث **«اليأس من روح الله»** وفي الآية **(ومن يقنط من رحمة ربه)** وهذا إمام يطلق عليه الإمام

---

(١) رواه أحمد في المسند برقم (١٧٣١١) .

المجدد في القرن الثاني عشر وله ما له من المعرفة والاطلاع على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ومع ذلك فإنه يقول : **ولعله فرق لطيف لأن الروح فسر بالرحمة في مواضع** ـ وهناك فرق بين الرَّوح والرُّوح، الرُّوح ـ بضم الراء المشددة ـ كما في قوله : **(يسألونك عن الروح)** فكل إنسان فيه رُوح ، لكن الرَّوح ـ بالفتح ـ قريب من معنى الرحمة كما يقول الشيخ وكما يقول غيره ؛ قال: **ولعله فرق لطيف لأن الروح فسر بالرحمة في مواضع** ـ فكأن الشيخ أشكل عليه هل تفسر كل المواضع بالرحمة ؟ (اليأس من روح الله) أم أن هناك اختلافا في مواضع ؟ فكأن الشيخ يتوقف في هذا.

قال تعالى: (أفأمنوا مكر الله) الأمن من مكر الله يجعل الإنسان متساهلا في محارم الله ؛ فيقول إن الله لن يعذبني ؛ وأيضا فيه إفراط في الرجاء وترك لعبادة الخوف ، والذي يأمن من مكر الله تسوء أعماله وتسوء أخلاقه وتسوء معاملاته ، فيعتقد أن ليس عليه رقيب وليس عليه حساب ، فالأمن من مكر الله فيه خطورة على العبد وعلى عقيدته وعمله ومجتمعه ، لذلك قال ربنا جل وعلا **(أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون)** أي: الهالكون ؛ وهذا الاستفهام استفهام إنكاري ؛ ففيه إنكار على هؤلاء .

وقد ذكر أهل العلم لتحصيل عبادة الخوف ثلاثة أمور خاصة بعد وقوع الذنب وحصوله :

الأول : أن يستشعر عظم الجناية ويعرف أنه أثم وأنه تعدى حدود الله جل وعلا، فمن المعلوم أن تشخيص الداء جزء من العلاج ، فهذا العبد الذي أذنب وأسرف على نفسه إذا لم يعترف بأنه أذنب فكيف سيعالج نفسه أو يعالجه غيره ؟ فأول شيء يحصل به العبد عبادة الخوف : معرفته بالجناية وقبحها .

ثانيا: تصديقه بالوعيد المترتب على هذه الجناية سواء كان هذا الوعيد في الدنيا أم في الآخرة ؛ فالسرقة مثلا الوعيد فيها قطع اليد ، وشرب الخمر الوعيد فيه الجلد ؛ وهكذا .. فيصدق بهذا الوعيد ؛ ويعلم أن هناك وعيدا مرتبا على هذه الجناية .

ثالثا: عليه أن يعلم أنه قد يحال بينه وبين التوبة ؛ فقد يصل للستين من عمره وهو في وضع مزر أو يصل للستين بعدما غاب عقله أو وهو مسرف على نفسه ؛ ولا يدري ماذا يصنع ؛ فيستشعر الإنسان بأنه لا بد أن يتوب الآن ، فيستحضر التوبة الآن ويقلع عن الذنب لأنه لا يدري ما يعرض له بعد ذلك ، قد يحال بينه وبين التوبة ؛ وكم من أناس حيل بينهم وبين التوبة ؛ قال الله تعالى : **(وحيل بينهم وبين ما يشتهون)** كم من أناس حيل بينهم وبين ما

يشتهون وحيل بينهم وبين التوبة وأسرفوا على أنفسهم بالمعاصي ؛ بل كان والعياذ بالله آخر أمرهم الردة نسأل الله السلامة والعافية .
فهذه الأمور الثلاثة إذا استشعرها العبد فإنه قد يحصل الخوف.
الدليل الأول: وقوله تعالى (ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون)» قالها إبراهيم عليه السلام لما بشرته الملائكة بإسحاق فقال لهم **(أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون)** هذا تعجب من إبراهيم عليه السلام لكبر سنه وكبر سن زوجه وإلا فإن إبراهيم نبي الله وخليل الرحمن جل وعلا ويعلم أن هذا شيء يسير على ربه جل وعلا لكنه تعجب أن يكون في هذه السن المتأخرة هو وزوجه وتأتي الملائكة تبشره بالولد ؛ ثم رد عليهم إبراهيم عليه السلام **(قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون) القنوط** : هو شدة اليأس ـ كما قال ابن الأثير ـ وأشد اليأس ، قنط من رحمة الله يئس يأسا شديدا ؛ خاف ألا يغفر له ؛ أو خاف ألا يزول عنه المكروه أو خاف ألا يحصل له المطلوب ، وهذا لا يكون أبدا من صفات المؤمنين ، فالمؤمن لا يقنط من رحمة الله ومن سعة رحمته جل وعلا لأن المؤمن دائما حسن الظن بربه سبحانه وتعالى ؛ ويعلم أن الفرج آت مع الصبر وتنفيس الكرب ؛ لذلك إبراهيم قال: **(ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون) الضالون** : هنا فسرت بأحد تفسيرين : المخطئون ؛ أو الكافرون ؛ فالكافر هو الذي يقنط من رحمة الله وييأس ؛ أما المؤمن فإنه لا يقنط من رحمة ربه أبدا ؛ لأن القنوط من رحمة الله خطأ من وجهين :
الأول: أن فيه طعنا في قدرته سبحانه وتعالى وأنه قادر على أن يبدل الأمور وأن يبدل العسر إلى يسر والكرب إلى فرج وتيسير ؛ فالذي يقنط كأنه يظن أن الرب جل وعلا غير قادر على إسعافه وعلى إزالة ما نزل به من مكروه .
الثاني : أنه طعن في رحمته سبحانه وتعالى التي وسعت كل شيء ، حتى البهائم والحيوانات وحتى الحيتان في البحر.
القنوط هو اليأس من رحمة الله وفيه سوء ظن بالله جل وعلا، والقانط من رحمة الله نفسه منكسرة ، ليست منكسرة من العبادة والطاعة بل منكسرة من اليأس والقنوط . فلذلك القنوط ليس من صفات عباد الله ولا من صفات أولياء الرحمن ؛ لذلك إبراهيم عليه السلام قال : **(ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون)** وهو يقابل الأمن من مكر الله ، فهذا فيه شدة الخوف ؛ إفراط في جانب الخوف ، وذاك فيه إفراط في جانب الرجاء ، قد يكون هذا القانط مسرفا على نفسه وفي الأخير يقول : قد أسرفت كثيرا فلن يُغفر لي ؛ كما قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث : **قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قطُّ: مَاتَ فَحَرِّقُوهُ وَادْرُوا نِصْفَهُ فِي البَرِّ، وَنِصْفَهُ فِي البَحْرِ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ لَيُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا لاَ يُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ العَالَمِينَ** ([1]) فهذا أسرف على نفسه في المعاصي وقنط من رحمة الله ؛ وقد يكون القانط عابدا ؛ يعبد الله جل وعلا ويجتهد في عبادته لكن غلب عليه سوء الظن بأن الله لن يقبله ولن يقبل منه فأساء الظن بربه سبحانه وتعالى ؛ فالقنوط قد يكون من مسرف وقد يكون من عابد مطيع ولكنه غلب عليه سوء الظن بربه سبحانه وتعالى وكلاهما ذنب عظيم مناف لكمال التوحيد الواجب ، فالواجب على العبد أن يخاف من ذنبه وأن يعمل بطاعة الله وأن يرجو رحمته سبحانه وتعالى كما قال تعالى **(يرجون رحمته ويخافون عذابه)** وقال تعالى **(أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه)** يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ؛ فجمع بينهما ، وقبل ذلك قانت بالليل ساجد قائم ؛ فهكذا العبد يجتهد في العمل ويجتهد في طاعة الله جل وعلا ثم يخاف ألا يقبل منه و يكون بين الخوف والرجاء .

الدليل الثاني :

«عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الكبائر» في رواية :(أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُوْلَ الله مَا الكَبَائِر) **والكبائر** : جمع كبيرة وتعريفها الجامع لها المجموع من كلام العلماء وكلام شيخ الإسلام ابن تيمية : كل ذنب ختم بلعن أو غضب أو عذاب أو نار أو نفي الإيمان ـ أي نفي الإيمان عن فاعله ـ أو ذكر البراءة ـ يعني أنه بريء منه ، أو ليس منا من فعل كذا أو رسول الله صلى الله عليه وسلم بريء ممن فعل كذا .

وسبق قول ابن عباس أنها ليست منحصرة في سبع ولكنها إلى السبعين أقرب وفي رواية إلى السبعمائة ، فالكبائر ليست منحصرة في سبع بل هي إلى السبعين أقرب بل قد تصل إلى السبعمائة ، وهناك علماء كتبوا في الكبائر منها كتاب الذهبي ومنها كتاب ابن حجر الهيتمي «الزواجر عن ارتكاب الكبائر» وغيرهما .

قوله : «سئل عن الكبائر فقال: الشرك بالله» فهذا أكبر الكبائر .

قوله :«واليأس من رَوح الله» الرَّوح كما سبق من كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب أنها قد تطلق على الرحمة ، اليأس من رَوح الله يعني اليأس من رحمة

([1]) رواه البخاري في صحيحه برقم (٧٥٠٦) .

الله ، ومن ناحية اللغة يقال : اليأس من رَوح الله ؛ الروح يعني الترويح وتفريج الكرب ؛ يعني اليأس من تفريج الكربات وتيسير العسر.
فاليأس من روح الله فيه قطع الرجاء وقطع الأمل في الله جل وعلا ؛ قال تعالى **(ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون)** في سورة يوسف في كلام يعقوب عليه السلام ؛ ولا تيأسوا من روح الله ؛ يعني لا تيأسوا من تفريج الله جل وعلا ومن ترويحه وتنفيسه للكرب ؛ **(إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون)** فاليأس من روح الله قنوط وجهل بسعة رحمة الله سبحانه وتعالى العزيز الغفار الرحيم الرحمن سبحانه وتعالى .

قال: «والأمن من مكر الله» هذا الجزء من الحديث في رواية البزار مكان هذه الجملة **«والقنوط من رحمة الله»** وهذا الحديث رواه الطبراني وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه البزار والطبراني في الأوسط ورجاله موثقون ؛ وحسنه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة وحسنه الحافظ العراقي في تخريجه على إحياء علوم الدين.. وفيه رجل مختلف فيه وهو شبيب بن بشر وثقه ابن معين ولينه الإمام أبو حاتم ورجح ابن كثير وقفه ، ولكن مع ترجيح ابن كثير الوقف فإنه يقال إن مثل هذا له حكم الرفع ؛ لذلك عقب هذا الحديث المرفوع بحديث صحيح موقوف ،**وهو الدليل الثالث :**
عن ابن مسعود قال : **«أكبر الكبائر الإشراك بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله»** كأن المؤلف أراد أن يعضد المرفوع بالموقوف الصحيح الذي لا إشكال فيه والذي رواه عبد الرزاق والطبراني وقال الهيثمي إسناده صحيح وصححه الحافظ ابن كثير **«أكبر الكبائر الإشراك بالله والأمن من مكر الله»** الذي يأمن من مكر الله لا يراعي صفات الجلال وأسماء الجلال والصفات التي فيها معاني الجلال كالقهر والجبروت والعزة ، فإن الله جل وعلا هو الرحيم الرحمن وهو كذلك العزيز ذو انتقام سبحانه وتعالى ، وهو الجبار المتكبر، فلا بد للعبد أن يراعي هذا وذاك ، كما يراعي ويلحظ ويعتقد أن الله جل وعلا رحيم رحمن فكذلك عليه أن يعتقد أن الله جل وعلا هو العزيز الذي لا يضام ولا يغالب في ملكه وهو القهار القاهر الذي لا يحب من عبده أن يتجاوز حدوده وأن ينتهك حرماته سبحانه وتعالى، فهو سبحانه وتعالى يغار على حرماته كما في الحديث:

«أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ لأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي»([1]) فالله جل وعلا يغار أن تنتهك حرماته ومحارمه.

قوله : «الأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله» بعض أهل العلم قال ليس هناك فرق بين القنوط واليأس ، وبعضهم فصل وقال : القنوط من رحمة الله هو استبعاد حصول المطلوب ، يعني أنت تطلب شيئا من رزق أو نحوه فحصل عندك قنوط من الاستجابة ، أي استبعاد حصول المطلوب ، أما اليأس من روح الله فقال: استبعاد زوال المكروه ؛ وهذا تفريق شيخنا ابن عثيمين رحمه الله تعالى .

وبعض أهل العلم يقول هذا من باب عطف الخاص على العام ، فإن اليأس من روح الله أخف من القنوط ، والقنوط أعم ؛ والذي أورد هذا الإشكال في المعنى ذكرهما معا في هذا الأثر: **القنوط من رحمة الله واليأس من روح الله** ، فإذا فُسر القنوط باليأس يكون هذا كأن فيه تكرارا في العبارة ، وإذا قيل بالفرق المذكور يرتفع الإشكال .

قوله : « فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الأعراف » . وقد سبق تفسيرها .

الثانية: تفسير آية الحجر. وقد سبق تفسيرها .

الثالثة: شدة الوعيد فيمن أمن مكر الله. أي إنه من الكبائر .

الرابعة: شدة الوعيد في القنوط». أي إنه من الكبائر .

والله أعلم

---

[1]) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٨٤٦) ، ومسلم في صحيح برقم ١٧ – (١٤٩٩) .